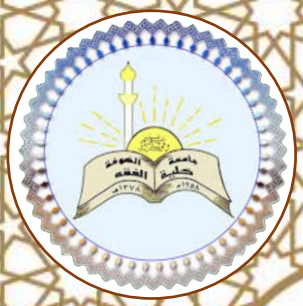

مجلة كلية الفقه

مجلة فصلية علمية محكّمة

تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

الرقم الدولي: ISSN 1995-7971

العدد الحادي والثلاثون – السنة الحادية عشرة

ربيع الثاني / ١٤٤١هـ – كانون الأول / ٢٠١٩م

المشرف العام

الأستاذ الدكتور

ستار جبر الأعرجي

عميد كلية الفقه

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور

محمد صبار نجم

مدير التحرير

الأستاذ المساعد الدكتور

فاضل مدب متعب

مقوم اللغة العربية

الأستاذ المساعد الدكتورة

إنتصار راضي عليوي

جامعة الكوفة – كلية الفقه

مقوم اللغة الإنكليزية

الأستاذ المساعد الدكتورة

هناء غني خليف

الجامعة المستنصرية – كلية الآداب

هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور	هادي حسين هادي الكرعاوي
الأستاذ الدكتور	محمد محمود زوين
الأستاذ الدكتور	رؤوف أحمد محمد الشمري
الأستاذ الدكتور	عباس علي كاشف الغطاء
الأستاذ الدكتور	حسين سامي عبد الصاحب
الأستاذ الدكتور	محمد علي هاشم الأسدي
الأستاذ الدكتور	كريم شاتي شبوط السراجي
الأستاذ المساعد الدكتور	حيدر محمد علي السهلاني
الأستاذ المساعد الدكتور	مهند مصطفى جمال الدين
الأستاذ المساعد الدكتورة	خولة مهدي شاكر الجراح

الهيئة الإستشارية

الأستاذ المتمرس الأول	محمد حسين علي الصغير	العراق
الأستاذ المتمرس الدكتور	عبدالأمير كاظم زاهد	العراق
الأستاذ الدكتور	حسن عيسى الحيكم	العراق
الأستاذ الدكتور	محمود محمد حسن المظفر	مكة المكرمة
الأستاذ المتمرس الدكتور	صاحب محمد حسين نصار	العراق
الأستاذ الدكتور	حازم سليمان الحلي	ألمانيا
الأستاذ الدكتور	علي حسين الجابري	جامعة بغداد / العراق
الأستاذ الدكتور	سلامة حسين محمد	جامعة بغداد / العراق
الأستاذ الدكتور	صباح عباس عنوز	جامعة الكوفة / العراق
الأستاذ الدكتور	علي ناصر غالب	العراق
الأستاذ المساعد الدكتور	أحمد فاضل السعدي	جامعة طهران / إيران

الشروط العامة للنشر

١- أن لا يكون البحث قد سبق نشره في أية مجلة علمية أو شارك في مؤتمر.

٢- أن لا يكون البحث مقدماً للنشر في مجلة أخرى.

٣- أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن (٢٠) صفحة، حجم A4.

٤- يتضمن البحث الفقرات الآتية:

أسماء الباحثين ومراتبهم العلمية، أماكن عمل كل منهم، المستخلص (بالعربي والإنكليزي)، المقدمة (الموارد وطرائق العمل)، النتائج والمناقشة والمصادر.

٥- يحتوي البحث على المستخلص باللغة الإنكليزية على أن لا يتجاوز ٢٠٠ كلمة.

٦- تقدم البحوث مطبوعة باستعمال برنامج Microsoft Word وبخط Simplified Arabic وبحجم (١٤) للعنوان الرئيسي للبحث وبحجم (١٢) لإسم الباحث ومرتبته العلمية ومكان عمله، ونفس الحجم للنصوص والعناوين الفرعية (٨) لهوامش الجداول إن وجدت، ويكتب البحث على وجه واحد من الورقة مع ترك مسافة سطر واحد بين المواضع وسطر واحد بين المقاطع.

٧- يشار إلى المصدر في متن البحث بالأرقام، وتكون محصورة بقوسين مربعين (١) ولا يذكر بجانب الرقم في المتن أي شيء آخر.

٨- يترك مسافة الحواشي بمقدار ٢,٥ سم على الجوانب الأربع للصفحة.

٩- تكتب المصادر في نهاية البحث بحسب تسلسل ورودها في المتن وشروط البحث العلمي في ذلك.

١٠- تقدم البحوث مطبوعة مع قرص CD مسجل عليه البحث وفق المتطلبات المشار إليها.

١١- يسلم الباحث مبلغ (٢٠,٠٠٠) دينار عراقي أو ما يعادله كدفعة أولى لقاء إيصال رسمي إلى حسابات المجلة، ويكمل المبلغ بحسب الضوابط في حال قبول البحث للنشر في المجلة ويسقط حق الباحث بالمطالبة بالدفعة الأولى في حال رفض البحث.

١٢- يزوّد كل باحث بنسخة واحدة من العدد المنشور فيه بحثه، ولا يرد أصل البحث الذي أرسل إلى المجلة نشر أو لم ينشر.

كلمة التحرير

حائط الصدّ

تُشغلُ واقعَنا الفكريّ اليوم جملةٌ من المشاكلِ والتحدّياتِ الّتي تُؤشّر مساراته وتؤثّر فيها، وتحدّد طبيعةَ الحواراتِ والاشتغالاتِ الّتي يتوجّه إليها الباحثون والدارسون ويتفاعلوا معها، كلٌّ حسبَ منطلقاتِهِ وأُسسِ تفكيرِهِ ومنهجِهِ رَفْضَاً أو قَبُولاً، وتنعكِسُ المواقفُ منها في كثيرٍ من الأحيانِ على الساحةِ الفكريّةِ عُمُوماً وربّما تتشكّلُ المواقفُ والمتبنّياتُ على أساسِها.

وتبرزُ على أساسِ ذلك في الغالبِ كتلٌ معرفيّةٌ واتّجاهاتٌ فكريّةٌ تتصارعُ على من يُمثّلَ الواجهةَ في المشهدِ، ومن يعجزُ عنْ تَسيّدِها فيلوذُ إلى خلفيّتِهِ أو يَنْكَفِئ إلى الانعزالِ.

وعلى رأسِ مَا يُشْغِلُ واقعَنَا اليومَ الدعواتُ إلى إعادةِ التعاملِ معَ النصِّ الدينيّ وفسحُ المجالِ أمامَ تعدّدِ القراءاتِ.

وتَنزلُ الحداثةُ إلى الميدانِ بقُوّةٍ وتحتلُّ منَ المشهدِ واجِهَتَهُ دُونَ منافسٍ حقيقيٍّ أو قائمٍ بالزحزحةِ ودُونَ أنْ تَكونَ لها حقٌّ في الأهليّةِ الكاملةِ على أنْ تكونَ متسيّدَةً للميدان بهذا الشكلِ، وهذا ما يُؤشّر بوضوحٍ ضعفَ حضورِ البديلِ الموضوعيّ وفاعليتِهِ في المواجهةِ.

وليس هذا ضَعْفَاً في منظومةِ التراثِ أو قابلياتِ المرجعياتِ الّتي يُستمدُّ منها بقدرِ ماهو ضعفُ بلورةِ المفاهيمِ وقابلياتِ الإفهامِ على انتزاعِها وتشكيلِ ملامحِ المنظومةِ الفكريّةِ الّتي تُبْنى عليها وتنجحُ في استيعابِ ملامحِ الرؤيةِ الكونيّةِ المستمدّةِ منها والّتي تُؤمّن الفاعليةَ والقدرة على المواجهةِ.

إنّ من واجباتِ الفكرِ الإسلاميّ اليومَ وأهمّ مسؤولياتِه أنْ يُبلورَ رؤيةً جديدةً وقراءةً معاصرةً تُؤمّنُ الاستجابةَ للتحدياتِ الفكريّةِ واستيعابَها للرؤيةِ الكونيّةِ والمنظورِ الاسلاميّ لتقدّمَ الاجابةَ

كلمة التحرير

الكاملةَ للتساؤلاتِ والاشكالاتِ المختلفةِ المطروحةِ اليومَ لأداءِ مَهَّمَةِ سدّ الطريقِ ومَلْإ الثغراتِ التي تُنتجُها مقولاتُ الحداثةِ وتتحرّكُ كإشكالاتٍ مُؤثّرةٍ ومُتبناةٍ من الكثيرينَ، وهكذا فإنَّ هذا التحدّي الكبيرَ يُلزمنا بمَهَمّتين رَئيستين:

١- بلورةِ المفاهيمِ وتأمينِها بمجموعِها لتكوّنَ ملامحَ الرؤيةِ الكونيّةِ وموقفَ المنظورِ الاسلاميّ في مختلفِ القضايا والمشكلاتِ والإشكالاتِ.

٢- تأمينِ حائطِ صدٍّ ومنظومةِ ردّ شبهاتٍ، وتحريرِ الأجوبةِ الواقعيّةِ للتساؤلاتِ والإشكالاتِ، وتشكيلِ منظومةِ الاستدلالِ الداعمةِ والموثّقةِ لهذهِ الرؤيةِ الكونيّةِ والمنظورِ الاسلاميّ مِنْ خلالِ انتزاعِ الأدلّةِ والحججِ والبراهينِ الموثقّةِ والمصدّقةِ لكلِّ مَلْمحٍ مِنْ ملامحِ الشريعةِ والعقيدةِ والتراثِ .

وهذا العدد من مجلتنا الغراء يستوعب هذه الحاجات ويلتفت الى لوازم الاستجابة لتحدياتها في العديد من بحوثه ويرسل رسالة واضحة للتنبيه الى ضرورة إعادة تشكيل منظومة الاستدلال والرد (حائط الصد) ليكون مؤهلاً بالكامل للوقوف في مواجهة الشبهات والاشكالات المعاصرة والانتقال من رد الفعل الى الفعل وتقديم الرؤية الكونية الإسلامية المؤمنة والمدعومة بالحجة والدليل.

أ.د. ستّار جبر الأعرجيّ
عميد الكلّيّة
المشرف العام

جدول المحتويات

١	دلالات النص على المعنى وما بعد المعنى قراءة في الإشكالية	١٣-٣١
	د. إحسان الأمين	
٢	مباني الشيخ الأنصاري في مباحث الحجة مباني القطع أنموذجاً وتطبيقاته الفقهية	٣٣-٤٤
	الباحث: حسنين بدر نجف أ.د. هادي حسين الكرعاوي	
٣	الأساس الفلسفي للقراءة التاريخية وانعكاسه على النص الديني	٤٥-٦٨
	م.د سعد جاسم الكعبي أ.د.كريم شاتي السراجي	
٤	المسؤولية الاجتماعية لدى موظفي كلية التربية	٦٩-٨٩
	م.م. سيف ناجح السلطاني أ.د. فاضل محسن الميالي	
٥	البعد الوظيفي التداولي للعلامات في رسائل الإمام علي (ع)	٩١-١٠٨
	م.د.مرتضى شناوة فاهم العرداوي أ.د. كريمة نوماس المدني	
٦	القدرة الشرعية والعقلية عند أصوليي الإمامية	١٠٩-١٢٩
	أ.م.د. صلاح عبدالحسين المنصوري	
٧	نظرية تعويض الأسانيد إشكال في بعض تطبيقاتها	١٣١-١٥٦
	الباحث: مصطفى زكي يحيى	
٨	مستند الاحتياط الوجوبي في الفقه الإسلامي	١٥٧-١٨٩
	بحث مشترك: ١- أ.م.د صادق حسن علي الطفيلي ٢- كامل كاطع غنتاب	
٩	قوانين عرض المعلومات في الفضاء المجازي الافتراضي في ضوء القواعد الفقهية	١٩١-٢٠٧
	أ.م.د. محمد حسين ملايكة بور قاسم سيد نور الدين مراديان وفايي	
١٠	فكر الإمامة وتأثيرها على الحضارة البشرية	٢٠٩-٢٣٣
	علي راد مهر طالب د. عبدالحسين خسرو بناه أ.د. أبو الفضل روحي	

جدول المحتويات

١١	جملة الشرط بين القدماء والمحدثين	٢٣٥-٢٤٧
	أ.م.د. انتصار راضي عليوي	
١٢	عقد الصيانة دراسة فقهية مقارنة	٢٤٩-٢٦٧
	إعداد: م.د. سهام علي حسين الناصري	
١٣	المحددات الأصولية لفهم النص التشريعي وعلاقتها بإشكالية المطلق والزمني دراسة تحليلية	٢٦٩-٢٩٠
	م.د. أسعد عبدالرزاق طعمة الأسدي	
١٤	الآراء الفقهية للسيد محمد باقر الصدر (نظرية خلافة الأمة وإشراف الفقيه إنموذجاً)	٢٩١-٣٢٩
	م.د. محمد فرحان عبيد النائلي	
١٥	هذه الرسالة في علم المعاني محلها عند قول صاحب "التلخيص" عند ورود الأمر للتعجيز نحو: (فأتوا بسورة من مثله) لخاتمة المحققين ببلد الله الأمين العلامة السيد أحمد بن زيني دحلان (ت١٣٠٤هـ)	٣٣١-٣٨٣
	تحقيق: م.د حسين عيدان مطر الشمري	
١٦	النفي في المناجاة الخمس عشرة الملحقة بالصحيفة السجادية - دراسة نحوية	٣٨٥-٤٠١
	م.د. وداد حامد عطشان السلامي	
١٧	نقد متن الروايات المفسرة للقرآن الكريم	٤٠٣-٤٢٥
	م.د. لواء حميزة كاظم العياشي	
١٨	مشكلة تدريس علم الاستعارة المعوقات والحلول المقترحة	٤٢٧-٤٤٨
	م.د. مصعب مكي زيبية	
١٩	دلالة الفصل عند المفسِّرين قراءةٌ في الآية (السابعة عشر) من سورة الحج	٤٤٩-٤٧٤
	م.م وسام فخري جويّح الحسناوي	
٢٠	الاجتهاد في الرؤية الحداثوية	٤٧٥-٥١٠
	م.د. حميد صبّار كاظم الأعرجي	

جدول المحتويات

٢١	التكافؤ الدينامي للترجمة من العربية إلى الفارسية في ضوء الدراسات النصية	٥١١-٥٢٩
	أ.م.د. سعد الله همايوني رضا بيات	
٢٢	الشعر والخطابة والأمثال من منظور إسلامي	٥٣١-٥٧٨
	م.د سناء لطيف عبدالرزاق الخرسان	
٢٣	المعالجات الأخلاقية عند محمد حسن القزويني	٥٧٩-٦١٣
	م.د. انتصار سلمان سعد	
٢٤	موقف أبي طالب من فجر الدعوة الإسلامية حتى وفاته - دراسة تاريخية -	٦١٥-٦٢٦
	الباحث: حسين نبيل جواد الخاقاني / رئاسة جامعة الكوفة	
٢٥	أساليب تهذيب النفس في النص القرآني دراسة تحليلية في البنى النحوية	٦٢٧-٦٤١
	م.م. انتصار عبدالأمير جبار الخالدي	
٢٦	مبدأ الزوجية في الخلق وأثره في بناء الأسرة الإسلامية (دراسة كلامية فقهية)	٦٤٣-٦٩١
	أ.م.د. رزاق حسين العرباوي	

البعد الوظيفي التداولي للعلامات في رسائل الإمام علي (عليه السلام)

م.د. مرتضى شناوة فاهم العرداوي
أ.د. كريمة نوماس المدني

ملخص البحث

تُعد التداولية من العلوم الرئيسة التي تتصل بعقل اللسانيات وتهتم بدراسة تحليل الخطاب، ومن هذه الزاوية المعرفية فهي مفهوم واسع التطبيق، يمكن دراستها في كل النصوص الأدبية فقد يعتمد البعد التداولي على العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية وبهذا فقد جعله موريس ضمن المعطيات الرئيسة في دراسة العلامات؛ لأن البعد التداولي يوثق العلاقة بين العلامات ومستعمليها، وعليه فإن رسائل الإمام علي (عليه السلام) جاءت مليئة بالعلامات ذات البعد التداولي التي اعتمدت بشكل أساس على عنصر الحوار المتسم بالحجاج والإقناع.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأكرم محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين الى يوم الدين.

وبعد....

فإن العلاقة وثيقة بين السيمياء والتداولية؛ لأن التداولية جزءٌ منها، فهي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعمليها، وهذا ما أشار إليه أصحاب المدرسة

الأمريكية فقد أكد أهم أقطابها (بيرس وموريس) على أنّ التداولية تهتم بدراسة النشاط اللغوي بمستعمليه عن طريق استخدامات العلامات المصاحبة للسياقات المقامية المختلفة التي يُنجز ضمنها الخطاب، ومن هذهِ الزاوية المعرفية نلحظ أن رسائل الإمام علي التي وردت في نهج البلاغة تزخر بالعلامات التي منحت النص وظائف تداولية مختلفة، ومن هذا المنطلق جاء عنوان البحث (البعد الوظيفي التداولي للعلامات في رسائل الإمام علي (عليه السلام))، فقد عزمنا على الخوض في هذا المضمار والتصدي لهذه العملية النقدية في ميدان هذهِ النصوص القرآنية لما لهذهِ النصوص من أهمية كبيرة في حياتنا الحالية والمستقبلية، فهي بحق تعد الدراسة الأولى في هذا المجال المفاهيمي الحداثوي.

وقد اقتصرنا في دراستنا لهذا الموضوع على بعض النصوص التي حملت تلك الرؤية العلاماتية التداولية بما يتناسب وطبيعة البحث، وسلكنا منهجاً تحليلياً واشتملت الدراسة على تقنيتين من التقنيات التي تسهم في تحقيق البعد الوظيفي التداولي للعلامات، يسبقها توضيح لمفهوم التداولية وطبيعة علاقتها بعلم العلامات، وبعدهما خاتمة.

فقد درسنا في الفصل الأول الحجاج وتتضمن دراسة البعد الوظيفي التداولي للعلامات بلحاظ الحجاج المختلفة ومنها العقلي والنقلي والتمثيلي، أما التقنية الأخرى فقد جاءت بلحاظ نظرية الأفعال الكلامية بأقسامها الثلاث الفعل التداولي والانجازي والتأثيري.

وقد جاءت الخاتمة بأهم ما توصلنا إليه من نتائج.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين.

توطئة

تعد التداولية من العلوم الرئيسة التي تتصل بحقل اللسانيات، وتهتم بدراسة تحليل الخطاب، ومن هذه الزاوية المعرفية فهي ذات مفهوم واسع التطبيق، أما نشأتها فقد توافقت تقريباً من نشأة العلوم المعرفية المختلفة، و يمكن إرجاع بدايات هذا البرنامج المعرفي إلى الخمسينيات من القرن العشرين وتحديداً في سنة ١٩٥٥م عندما ألقى جون أوستين محاضراته في جامعة هارفارد ضمن برنامج (محاضرات

وليام جايمس)، وقد مثّلت هذه المحاضرة بوتقة الدراسات اللسانية[١].

ومن الباحثين من يرى أنَّ موريس هو أول من ميّز بين الاختصاصات التي تعالج اللغة وعلاقاتها بالعلامات عندما كتب في سنة ١٩٣٨م مقالاً في موسوعة علمية، وظَّف فيه أبعاد ثلاثة في دراسة العلامات فجعل البعد التداولي ثاني هذه الابعاد فقال: ((إنَّ التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات)) [٢] واقتضى رأيه أن البعد التداولي يدرس ضمائر التكلم والخطاب وظرفي المكان والزمان (الآن – هنا) والتعابير التي تستقي دلالاتها من معطيات تكون جزئيات خارج اللغة نفسها، أي من المقام الذي يجري فيه التواصل[٣].

وما نخلص إليه هو أنّ السيميائيات الأميركية من حيث احتوائها على المعطى التداولي في أبحاث أعلامها (بيرس وموريس) وأشياعهما تعد بمثابة البذور الأولى للنظرية التداولية في تحليل الخطاب[٤]. بيد أنّ أوستين هو من وضع أسسها العامة ومبادئها الرئيسة، فهو بحق يعد أبا للتداولية و أكمل المسيرة بعده تلميذه (جون سيرل) الذي قام بتحويل هذه المنطلقات إلى اجراءات عملية في دراسة الخطاب[٥].

ومن هنا يتضح لنا أنّ التداولية تدرس ((علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من (الخطاب) رسالة تواصلية (واضحة) و (ناجعة)...)) [٦].

أي أنّها تهتم بالكشف عن الدوافع النفسية للمرسل وردود أفعال المتلقي، ومن هنا فهي تعتمد على مبدأ الاتصال والحوار بين طرفي الخطاب (المرسِل والمرسَل اليه) وتؤسس لإمكان التبادل الثقافي التي يُسهم في تحديد الحقيقة المعرفية بوضوح ونجاح.

وتأسيساً على ذلك فهي لم تقتصر على أطر محددة في دراسة الخطاب، فبإمكانها توظيف كل الأطر اللسانية التي من شأنها تحقيق التواصل، وهذا ما ذهب اليه كرناب (carnap) من خلال الطابع التجريبي الثابت للتداولية مؤكداً ((أنّ أي لسانيات هي بالضرورة تداولية ما دامت تحيل على المتكلم)) [٧].

وإذا ما نظرنا في رسائل الإمام (عليه السلام) نلحظ انّه حاول جاهداً في إيصال مقاصدهِ المعبرة عن الرؤية الاسلامية في شتى المجالات الدينية والاجتماعية والسياسية والنفسية وغيرها، وحاول التأثير في المتلقي بما ينسجم مع تحقيق المقاصد والغايات بوضوح ونجاح، وذلك عن طريق استعمال العلامات، وما توفره تلك العلامات من أبعاد وظيفية تداولية تفضي الى تحقيق التواصل والتأثير بين طرفي الخطاب (المرسِل والمرسَل اليه).

ويمكن أن نقتصر على تقنيتين من التقنيات التي تسهم في تحقيق البعد الوظيفي التداولي للعلامات وكما يأتي:

المطلب الأول
البعد الوظيفي التداولي للعلامة بلحاظ الحِجَاج

يعد الحجاج من العلوم القديمة جداً فقد ارتبط كثيراً في مجالات عدة كالمنطق والبلاغة والديالكتيك[٨]، و يرى بعض الباحثين أنّ الحِجَاج الغربي أرسطيٌ وانْ صيغ بصياغات حديثة[٩].

ومن هنا فهو مفهوم عربي تأثر تكوينه العلمي بالقرآن الكريم والحديث الشريف، ورؤية العلماء المسلمين، بيدَ أنّهُ هُمِش ولم يُهتم بهِ ؛وذلك لتقدم البلاغة وعدّه ضمن الاتجاهات غير العلمية، وقد عاد الاهتمام به مع كتابات الفيلسوف البلجيكي بيرلمان (perel man) الذي نشر مع أولبريتش– تيكا (olbrehts- tyteca) في عام ١٩٥٨م الكتاب الذي ترك الأثرَ الأكبر في دراسة الحجاج وهو كتاب (رسالة في الحجاج: البلاغة الجديدة)[١٠].

أما اليوم فهو من المداخل الرئيسة لدراسة التداولية[١١]. فيعرَّف على أنّهُ ((طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع فيكون بذلك الخطاب ناجحاً فعالاً)) [١٢].

ومنهم من يجعله ضمن وسائل الاقناع فيعرَّف على أنّهُ ((خطاب موجه للتأثير على آراء وسلوكيات المخاطب والمستمع، وذلك بجعل أي قول مدعم صالحاً أو مقبولاً كنتيجة بمختلف الوسائل...)) [١٣] ومن هذا المنطلق يمكن القول: إنّ الإمام علي (عليه السلام) في رسائلهِ إلى الولاة والعمال وغيرهم اتخذ وسائل حجاجيةإقناعية متعددة من شأنها إيصال أفكاره والتأثير في المتلقي ومن هذه الوسائل:

١- الحجاج العقلي والمنطقي

ويقصد به: ((العلاقات التي يقيمها سياق النص الحجاجي- من خلال عرضه على مفهوم النص العام- هي علاقات الدعوى والنتيجة. ويشترط من المنظور الدلالي أن يرتبط بمحتوى المقدمات)) (١٤).

ومصداق ذلك ما جاء في جوابه(عليه السلام) إلى معاوية عندما طلب منهُ أنْ يترك له الشام ويدعوه للشفقة على العرب الذين أكلتهم الحرب فقال له عليه السلام: ((وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلاَّ حُشَاشَاتِ أَنْفُس بَقِيَتْ، فَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى [الْجَنَّةِ، مَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى] النّارِ. وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ والرِّجَالِ، فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الاْخِرَةِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَاف، فَكَذلِكَ نَحْنُ، وَلكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمَ، وَلاَ حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلاَ أَبُوسُفْيَانَ كَأَبِي طَالِب، وَلاَ المُهَاجِرُكَالطَّلِيقِ وَلاَ الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، وَلاَ الْمُحِقُّ كَالْمُبطِلِ، وَلاَ الْمُؤْمِنُ كَالمُدْغِلِ، وَلَبِئْسَ الْخَلَفُ خَلَفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ)) (١٥).

فقد استعمل الإمام (عليه السلام) منهجاً تفاعلياً في هذا السياق الحجاجي والرد على معاوية، فلم تَكنْ غايته إقحامه، بل إعلام المخاطب بما يريده من حقيقة تتمحور ضمن معطيات القرآن الكريم، والهدف منها هو إحداث التأثير الفكري في المتلقي نفسه، وكذلك إحداث التغيّر في مواقفه الفكرية والعقدية، وقد بنى الإمام (عليه السلام) ذلك الحجاج وفق مُسلّمات عقلية نوجزها بالشكل الآتي:

أولاً: جاء بمقدمات جزئية مبنية على دعوى سياقية أفضت الى نتيجة قطعية تتمثل بالمعادلة أدناه:

فلان أكله الحق ← مقدمة جزئية

كل من أكله الحق فمصيره إلى الجنة

إذن فلان إلى الجنة

فالحق هو حلقة الوصل في أسلوب الحجاج والاستدلال، ومن ثَمَّ فهو يمثل طريق الانتقال الذي ينقل المتلقي من المقدمات إلى النتيجة ضمن سياق النص العام.

ثانياً: عزز أسلوبه الحجاجي بمسلمات عقلية أيضاً من شأنها أنْ تسهم في إبطال دعوى معاوية التي تتمثل بمساواته بالإمام (عليه السلام) وذلك عن طريق التقابل اللفظي الذي يحمل مؤكدات عقلية لدى السامع وهي كالآتي:

ليس أمية ← كهاشم

لا حرب ← كعبدالمطلب

لا أبو سفيان ← كأبي طالب

لا المهاجر ← كالطليق
ولا الصريح ← كاللصيق
ولا المحق ← كالمبطل
ولا المؤمن ← كالمدغل

ومن هنا فإنَّ هذه التقابلات شكلت لدى المتلقي مسلَّمات عقلية أسهمت في تحقيق نتيجة قطعية أيضاً هي (إنَّ أتباع بني أمية مصيرهم النار، على خلاف أتباع هاشم فهم أصحاب حق).

وعوداً على بدء فقولهِ: (من أكله الحق.. ومن أكله الباطل) علامة حُجيَّة استندت إلى قانون عقائدي، شكل لنا بعداً وظيفياً تداولياًبين طرفي الخطاب (الإمام علي، ومعاوية)، وتأسيساً على ذلك نقول: إنَّ العلامة الحُجيَّة تتولد لدى الإنسان من طبيعة عقله ومن ثمَّ فهي تساعد على ارتباط المحتوى بالمقدمات من حيث الطبيعة الدلالية ومن ثمَّ فهي تشكل لدى المتلقي بعداً وظيفياً تداولياً.

٢-**الحجاج النقلي:** ويتمثل هذا النوع من الحجاج في استعمال الإمام (عليه السلام) الشاهد الديني (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة) في مختلف المواقف والسياقات الوعظية والوصفية والإنكارية كُلاً بحسب موقفهِ للتأثير في المتلقي واقناعهِ[١٦].

ومن ذلك ما جاء في جوابه لمعاوية ((فَإِسْلاَمُنَا مَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لاَ تُدْفَعُ، وَكِتَابُ اللّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وَهُوَ قَوْلُهُ: وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْض فِي كِتَابِ اللّهِ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤمِنِينَ)، فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ.)) [١٧].

وبهذا نقول: إنَّ الإمام (عليه السلام) قد وظف النصوص القرآنية في خطابه الحجاجي، لإثبات أحقيته وإبطال مزاعم معاوية ؛لأنَّ النصوص القرآنية من أقوى الوسائل والتقنيات في الحجاج، وإلزام المخاطب ودفعه إلى التسليم بذلك، وفي الوقت نفسه مَثَّل هذا الاستشهاد بالنصوص القرآنية والاحتجاج بها علامة حُجيَّة منحت الخطاب بعداً وظيفياً تداولياً، استند إلى إثبات أحقية المتكلم (الإمام) وبطلان مزاعم السامع (معاوية) وإرغامه على القبول بالنتيجة والتسليم لها.

ومن أحاديث الرسول: التي استشهد بها الإمام (عليه السلام) ومن ثمَّ أصبحت حُجَّة على المتلقي، ما جاء في وصيتهِ للحسن والحسين (عليهم السلام) لما ضربه ابن مُلجم لعنه الله، فقال (عليه السلام) ((انْظُرُوا إِذَا

أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هذِهِ، فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَة، وَلاَ يُمَثَّلُ بِالرَّجُلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ: "إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ وَلَوْ بَالْكَلْبِ الْعَقُورِ"))[١٨].

نلحظ في هذا الخطاب تأكيد الإمام (عليه السلام) المبادئ الإسلامية الحقة التي تنسجم مع العدل والأخلاق، وقد أراد بذلك توثيق العدالة في تنفيذ القصاص على الجاني وعدم التمثيل به أو تعذيبه، وكذلك أراد النهي عما كان يحدث في العصر الجاهلي من أبشع صور التعذيب في أثناء الحروب ومعاملة الأسرى، فهو ينطلق من مبدأ إسلامي يسوده العدل والحق إذ سعى إلى تكريس هذا المبدأ على كل الناس وعدم التفريق بين شخص وآخر مهما كانت منزلته، وهذا ما أكدهُ التكرار التوكيدي المتمثل بقوله: (ضربة بضربة) فقد جاء هذا التوكيد منسجماً مع ما أورده من حُجَّةٍ قطعيةٍ توجب على المتلقي تنفيذ الأوامر بما ينسجم مع الشريعة الاسلامية.

وفي هذا المقام يتبين أنَّ قصد الإمام (عليه السلام) من التوظيف لكلام الرسول محمد: المتمثل بقوله: (إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور) إنّما جاء به لغرض الإقناع والتأثير في المتلقي تأثيراً يتحقق بموجبه فحوى الخطاب، وفي الوقت نفسه فهو علامة حُجيَّة، ودلالتها تحقيق العدالة والالتزام بمعايير الإسلام التي نص عليها، وهذه العلامة أفضت إلى تحقيق بعدٍ وظيفي تداولي بين طرفي الخطاب الإمام (المتكلم) + الحسن والحسين (المستمع) (عليهم السلام).

٣-**الحجاج التمثيلي:** وهو الحجاج الذي يوظف فيه المتكلم مثلاً معروفاً يقصد به حضور الحُجَّة وجعل القاعدة المجردة حيّة وملموسة، لما له من أثر مهم في الإبداع، وفي الحجاج على السواء ومرد ذلك أساساً إلى ما يتبعه من امتداد وتوسّع، فبوساطته يمكن أنْ يوضح بنية الموضوع ويضعه في إطار مفهومي معلن[١٩].

ومن مصاديق هذا النوع من الحجاج في رسائل الإمام علي ما جاء في كتابه وهو جواب لمعاوية قال فيه ((... وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الاْسْلاَمِ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ، وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ، وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ! وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ، وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الاْوَّلِينَ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ! هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ

لَيْسَ مِنْهَا، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا! أَلاَ تَرْبَعُ أَيُّهَا الانْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ! فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ، وَلاَ لَكَ ظَفَرُ الظَّافِرِ!وَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ، رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ.)) [٢٠].

يمثل جواب الإمام (عليه السلام) احتجاجاً وتفنيداً لمزاعم معاوية وبيان حقيقته لأهل الشام الذي كان يغويهم بالخديعة والتضليل بأنَّه من قرابة النبي: وله حق الخلافة كما كانت للشيخين (أبي بكر وعمر) ثم أخذ يذكر بأفضليتهم في الخلافة، فجاء جواب الإمام منسجماً وحقيقة معاوية، وذلك بمعنى أنّ الإمام (عليه السلام) أنكر على معاوية تفضيله في درجاتهم ومراتبهم، فهو بمعزل عن هذا الترتيب والتفضيل لأمور عدة منها: إنَّه لن يكن منهم، فحديثه منهم لا داعي له، وكذلك صغر شأنه؛ لأنَّه لم يكن له شرف الأسبقية في الإسلام فهو طليق وابن طليق، فاستبعد أهليته في هذا الحكم في ترتيب طبقات المهاجرين أيضاً في الفضل فضرب له في ذلك مثلين[٢١].

احداهما: قوله: (لقد حنَّ قدح ليس منها)، وحقيقة هذا المثل يضرب لمن يفتخر بقوم أو جماعة وهو ليس منهم[٢٢]، فقد اضطلع هذا المثل بتحديد العلاقة التي توثّق بعد معاوية عن منزلة الموصفين، فهو بمثابة التقريع والاستحقار له.

الثاني: قوله: (وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها)، وهذا المثل يضرب لمن يحكم على قوم وهو من أرازلهم[٢٣]، ومراده أنَّ معاوية ليس من القوم الذين حكم بتفضيل بعضهم على بعض في شيء وليس له الحق في الحكم بينهم.

أما قوله: (فما عليك غلبة المغلوب، ولا ظفر الظافر) فهو يمثل قوة الاحتجاج على وجوب تأخيره بحسب هذه المرتبة، بمعنى أنَّ معاوية غير معنيٍّ في الدخول في مثل هذا الأمر.

ونفهم من ذلك، أنَّ توظيف الإمام (عليه السلام) لهذين المثلين في الاحتجاج على معاوية يمثلان كلاً منهما علامة حُجيّة لإبطال مزاعمه من جهة وتحقيره من جهة أخرى؛ لدخوله بأمر لا يعنيه، وفي الوقت نفسه فان كلاً من هاتين العلامتين أفضتا إلى تشكيل بعدٍ تداوليٍ تولد لدى المتكلم عبر استقراء المثل والإفادة من فحواه ؛لأنَّ ((المثل شبيه بالاستقراء، والاستقراء مبدأ استدلالي))[٢٤]، ومن ثمَّ فهو حُجَّة على المتلقي يستهدف التأثير على سلوكه وتغيّر مواقفه.

وفي ختام هذا التمفصل نقول: إنَّ الإمام (عليه السلام) أدرك أهمية الحِجَاج في إيصال أفكاره والتأثير على المتلقي، لذا استثمر كل التقنيات الحجاجية العقلية والنقلية والتمثلية، إيماناً منه بقيمة وسلطة الحجاج في تحقيق مقاصده والتأثير على السامع في إحلال القناعة والمساهمة في تحريك مشاعره بحسب ما يقتضيه المقام.

وهنا لابد لنا من القول: إنَّ رسائل الإمام (عليه السلام) كانت في أغلبها نصوصاً حجاجية؛ لأنَّ المرسل كان يقصد منها التأثير في المتلقي بتفسير مواقفه أو الثبات عليها بحسب ما يقتضيه الموقف، فقد تنوعت التقنيات الحجاجية فيها كُلاً بحسب مكانة المرسل اليهِ ومنزلتهِ.

التمفصل الثاني: البعد الوظيفي التداولي للعلامة بلحاظ نظرية الأفعال الكلامية:

تعد هذه النظرية من أهم محاور الدرس اللساني التداولي، وكذلك هي أول محاولة تتجاوز بالفعل الطرح الأرسطي للقول الخطابي والدراسة البلاغية بإعادة تنظيم منطق اللغة الطبيعية في ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة[٢٥].

وقد اتفق معظم الباحثين على أن أوستين (J. L. Astin) هو من أسس هذه النظرية؛ بهدف دراسة إنتاج القول في مقام الخطاب وليس دراسة الجملة، وقد نادى هذا التوجه الجديد بضرورة ربط اللغة بالمؤسسة الاجتماعية وهو ما يظهر في فعل القول، وإدخاله مفهوم القصدية في فهم كلام المتكلم وفي تحليل العبارات اللغوية[٢٦].

وبهذا فالمقصود بالفعل الكلامي: ((التصرف (أو العمل!) الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن ثمَّ (فالفعل الكلامي) يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معنيّة ومن أمثلتهِ: الأمر، والنهي، والوعد، السؤال... الخ)) [٢٧].

ومن هذا المنطلق فإنَّ نظرية الأفعال الكلامية ترسخ دراسة تحليل الخطاب دراسة نسقية وتحديد العلاقة بين العلامة ومؤوليها، ومعرفة ما يقوم به من أصحاب التأويل ومدى إنجازهم لتلك الأفعال عن طريق استعمالهم لبعض العلامات[٢٨].

وبهذا فهي تؤكد أنّ ((كل ملفوظ يخفي بعداً كلامياً أي الفعل الذي تشكله واقعة الكلام بالذات)) [٢٩].

ومن هنا فقد ميَّز أوستين في نظريته بين نوعين من الأفعال اللغوية[٣٠].

١- **أفعال إخبارية:** اذ تتموضع هذه الأفعال في جملة من الوقائع الخارجية التي يحكم عليها بمعيار الصدق والكذب، فنقول مثلاً:

توفي ملك اليمن، فهو فعل إخباري كاذبٌ؛ لأنّهُ مخالف لواقع اليمن التي لا ملك لها بل رئيس.

٢- **أفعال أدائية:** وهي عكس الزمرة الأولى اذ لا يحكم عليها بمعيار الصدق والكذب بل بمعيار التوفيق والنجاح أو الإخفاق، مثلاً التلفظ الذي يحصل في أثناء التزويج فقد يكون ضمن نطاق كلمات محددة ومن أشخاص معينين.

وكذلك يرى أوستين أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال، تعد جوانب مختلفة في فعل كلامي واحد، تشكل كياناً واحداً ويسميها: الفعل القولي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري[٣١].

وتأسيساً على ذلك فان أوستين هو من وضع الأسس المنهجية لهذه النظرية، بَيدَ أنها تطورت من بعده تطوراً كبيراً، على يد سيرل إذ عمل على تطويرها و قدَّم لها تصنيفاً جديداً، فقسمَّ الأفعال على خمسة أقسام بالاعتماد على قواها الإنجازية وهي: الإخبارية، الطلبيات، الوعديات، الإفصاحيات، التصريحات[٣٢].

وعلى هذا النحو نقول: إنّ رسائل الإمام علي يغلب عليها صفة الفعل الإنجازي؛ لأنها تتضمن مقاصد متعددة، سعى عن طريقها إلى التأثير في سلوكيات المتلقي، إيماناً منهُ بالمسؤولية الملقاة على عاتقه في إصلاح الأمة بما ينسجم مع التعاليم الإسلامية.

ويمكن لنا دراسة هذه التقسيمات في الرسائل والحِكَم القصار وما تحويه من علامات تسهم من شأنها في تشكيل بعد تداولي وكما يأتي:

أولاً: الفعل القولي: ويشمل هذا الفعل في ((التلفظ بكلمات وجمل ذات بنى تركيبية وصرفية ونحوية))[٣٣].

ويكون هذا التلفظ بتعبير لغوي موجه إلى المتلقي وفق سياق معين وبقصد معلوم[٣٤]. ومن ثمَّ تتحقق دلالة ذلك التعبير منسجمة وقصد المتكلم. ومن مصاديق هذا الفعل في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ما جاء في كتابه إلى أهل الامصار الذي يقصُّ فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين ((وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا الْتَقَيْنَا وَالْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَالظَّاهِرُ

أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ، وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ، وَدَعْوَتَنَا فِي الإِسْلاَمِ وَاحِدَةٌ، لاَ نَسْتَزِيدُهُمْ فِي الاْيِمَانِ باللهِ وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ (ﷺ)، وَلاَ يَسْتَزِيدُونَنَا، الاْمْرُ وَاحِدٌ، إِلاَّ مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمانَ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ!فَقُلْنَا: تَعَالَوْا نُدَاوِ مَا لاَ يُدْرَكُ الْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وَتَسْكِينِ الْعَامَّةِ، حَتَّى يَشْتَدَّ الاْمْرُ وَيَسْتَجْمِعَ، فَنَقْوَى عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ مَوَاضِعَهُ. فَقَالُوا: بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ!)) [٣٥].

فالفعل القولي يتموضع في قولهِ: (فقلنا تعالوا نداوِ – فقالوا نداويه بالمكابرة) وهذا التركيب متكون من: (فعل ماضٍ+ فاعل (الضمير المستتر)+ المفعول به الناتج من الجملة الفعلية في كل من الجملتين)، وقد تضمن هذا السياق القولي بلاغاً رسمياً لعموم المسلمين في الأمصار والبلدان الشاسعة، إذ بيَّن فيه الإمام (عليه السلام) ما آل اليه زحفه بجيوش المسلمين إلى الشام؛ لدفع بغي معاوية وصده عن الهجوم بالبلاد وتعرضه للعبث والفساد، فقد أشار إلى بيان المشتركات فيما بينهم وحصر مادة الخلاف بدم عثمان فقط، وقد نزّه نفسه من هذا الفعل، وبيَّن اقتراحه لأهل الشام وهو ترك العداوة والشحناء التي تضعف الوحدة الإسلامية وما تؤول إليه الحرب[٣٦]، بَيدَ أنهم رفضوا وأصرّوا على الحرب وهذا ما تضمنته العلامة الخبرية في قولهِ: (فقالوا بل نداويه بالمكابرة)، فهي تحكي حالهم حين دعاهم الى نظام أمر الدين بالرجوع عمّا هم عليه فكابروا وأصروا على الحرب.

وبهذا نفهم ما آلت اليه العلامة الخبرية من استمالة تداولية بين المتحاورين، إذ يكشف هذا الحوار عن الأمور المشتركة بينهم وبين حقيقة الإمام (عليه السلام) واسلوبه في عرض الحقائق والأحداث فهو يحترم انسانيتهم على الرغم من مخالفتهم لنهجهِ وأفكارهِ، ولعلَّ هذا الأسلوب يشير إلى الإمكانات القولية المختلفة لدى الإمام من جهة، ومن جهة أخرى لبيان حقيقتهم المخالفة والمحاربة للإسلام أمام أهل الامصار الإسلامية.

ثانياً: الفعل الإنجازي: والمقصود بهِ ((ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي))[٣٧]، من أجل إنجاز غرض تواصلي معين بمعنى ((انّهُ عمل يُنجز بقولٍ ما)) [٣٨].

ويتجلى الفعل الإنجازي في وسائل متعددة كالترغيب والترهيب، والوعد

والتحذير، والنصح والارشاد والتخيّر، والتعصب والنقد وغيرها[٣٩].

واذا تأملنا في المحور الأول من هذه الوسائل سنجد أنّ الترغيب والترهيب عند الإمام (عليه السلام) اعتمد على مواطن متعددة، تكشف عن حرصه على بناء المجتمع بصورة تكاملية تفضي إلى الإلمام بكل ما يحقق رضا الله وتجنب سخطهِ ومن أمثلة ذلك ماجاء في قوله(عليه السلام): ((فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ، دَارٌ لَيْسَ فِيها رَحْمَةٌ، وَلاَ تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ، وَلاَ تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ))[٤٠].

فقد رَهَّب الإمام (عليه السلام) في هذا النص من النار عن طريق وصف مشاهدها المرعبة، وهول صورتها الموحشة، وغاية هذا الوصف هو حث الإنسان على التمسك بالتعاليم الإسلامية واجتناب المعاصي التي تسوقه إلى هذا المكان المرعب، فأخبر عن صورتين من صور تلك العذاب إحداها مادية والأخرى نفسية، فالصورة المادية تتمثل بقولهِ: (قعرها بعيد، وحرها شديد) وهذه الأوصاف ترسم لنا عمق هذه الدار الموحشة وشدة حرارتها التي لايطيقها أي مخلوق، أما الصورة النفسية فتتمثل بقوله: (عذابها جديد، دار ليس فيها رحمة، ولا تسمع فيها دعوة، ولا تفرج فيها كربة)، وفحوى هذه الصورة يجسد استمراريتها وديمومة سعيرها، وعدم سماع من هو فيها وعدم تلبية مطالب المنادي.

ومجمل تلك الصورتين يشكل لنا علامة خبرية تجسد حقيقة العذاب للذين لا يطيعون الله تعالى ويخالفون تعاليمهِ ومن ثمَّ فإنَّ هذا الإخبار يمنح العلامة بعداً وظيفياً تداولياً جسَّد حقيقة التفاعل بين المرسل والمتلقي.

ثالثاً: الفعل التأثيري: وهو فعل إقناع المتلقي والتأثير فيه بشيء ما، كطاعة الأمر أو الاقتناع بالنصيحة، أو تصديق المتكلم أو تكذيبه[٤١]. ومن مقومات الفعل التأثيري في المتلقي أن يكون متوافراً على سمة القصدية[٤٢].

ومن مصاديق هذا الأسلوب ما جاء في قولهِ لشريح القاضي عندما بلغهُ انّ شريحاً قد اشترى داراً بثمانين ديناراً، فاستدعاه (عليه السلام) وبدأ الحوار كما جاء في نهج البلاغة: ((بَلَغَنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمانِينَ دِينَاراً، وَكَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً، وَأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُوداً. فقال شريح: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين. قال: فَنَظَرَ إليه (عليه السلام) نَظَرَ

مُغْضَــبٍ ثُمَّ قال لَه: يَا شُــرَيْحُ، أَمَا إِنَّهُ سَــيَأْتِيكَ مَنْ لاَ يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، وَلاَ يَسْــأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَــاخِصــاً، وَيُسْــلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصــاً. فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لاَ تَكُونُ ابْتَعْتَ هذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلاَلِكَ! فَإِذَا أَنْتَ قدْ خَسِــرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الاْخِرَةِ!أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتاباً عَلَى هذِهِ النُّسْــخَةِ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِــرَاءِ هذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَم فَمَا فَوْقُ)) [٤٣].

في هذا النص تبرز التداولية بشكل جلي وواضــح من خلال العلامة البصــرية الدالة على الإنكار المؤثر في المتلقي، والمتمثلة بـ (نظرة المغضب)، تلك النظرة التي تمثل سمة الرفض واســتهجان الأمر، فهي معادلة لإحداث التأثير في المتلقي وتغيير موقفهِ في الابتعاد عن الإســراف والمال الحرام والتحلي بالزهد الشديد في الدنيا.

فـالإمـام (عليه السلام) لم يقتصــر على تلـك النظرة في إحداث الأثر وإقناع المتلقي في التخلي عن الإســراف ومظاهر البذخ وإنَّما عزز كلامه بوســائل تأثيرية أخرى عملت على تقوية الإثارة وتحقيق القصــدية لدى المتلقي منها قوله: (بلغني) فهذا التركيب يـدل على التوبيخ، وكـذلـك اسـتعمـالـهِ العلامات اللغويـة الـدالـة على الرفض والاســتهجان ومنها قوله: (يا شــريح) فهي علامة تدل على الامتعاض من ذلك الأمر، ومن ثم أخبر عن الموت الـذي لا يفـارق الإنســان فقد يدركه في أي وقت؛ ليكون النتيجـة التي قـدّم لهـا فهي حجـة على المتلقي للقبول والاقناع بصـحة المسـلمآت التحذيرية، وبهذا نســتنتج البعد التداولي للعلامات التي حققت التفاوت المقامي بين المتخـاطبين وإحـداث الأثر النفســي في وجـدان المتلقي وذلـك من خلال تراتبيـة الأحداث وما آلت إليهِ من نتائج تحققت بفضــل الســياق العلاماتي الذي وظفهُ المخاطب بوسائل تأثيرية متعددة.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المظنيةً مع هذا الكنز العلوي يختم البحث رحلته بما توصــل اليه من نتائج نذكر منها الآتي:

- أثبت البحث أن رســائل الإمام علي (عليه السلام) من النصوص الغنية بالعلامات اللغوية وغير اللغوية لما تحويه من أفكار ورؤى استراتيجية مختلفة أراد الإمام(عليه السلام)) عن طريقها إيقاظ فكر المتلقي إلى فهمها والوصــول إلى دلالاتها بما ينســجم مع الروح الإسـلامية ويحقق ضـمان سـلامة الموقف العلوي تجاه الأمة.

- تعد رسائل الإمام (عليه السلام) من المدونات التي تستوعب كل الأشكال والممارسات الدراسية بما فيها النقدية الحديثة، فهي معينٌ ثرٌ لا ينضب ماؤها أبداً.

- العلامة لم تقتصر على شيء معين وإنَّما كل شيء خاضع لنظام العلامة، فهي الوجه الآخر لعمليات الادراك.

- ينماز علم العلامات بالقدرة على توليد الفهم المعرفي لدى المتلقي في تشخيص المعطيات الموضوعية وتحققها داخل الظاهرة المدروسة.

- يساهم علم العلامات في فك شفرات النصوص لدى المتلقي وعَبْرَهُ يستطيع الدارس الوصول إلى مكامن النص وما فيه من خبايا معرفية.

- تحقق العلامة أبعاداً وظيفية في الموضوع الذي تحيل عليه وقد تفقد قيمتها المعرفية والإرتباط المفهومي مع المتلقي عند فقدانها هذا الارتباط.

- ارتكزت الوظيفة التداولية للعلامات على الحجاج لأنَّه أقوى وسائل التأثير والإقناع في المتلقي، فالإمام (عليه السلام) بنى أسلوبه الحجاجي بشكل هرمي في فاعليته وقوته ليحقق الإقناع عَبْرَ الحوار مع المتلقي لذا تجسدت في الرسائل؛ لأنَّ الرسائل موجهة ومخصصة لأشخاص معلومين ومعينين.

الهوامش

(١) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، جان موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس، د. محمد الشيباني: ٢٧-٢٨.

(٢) المدارس اللسانية المعاصرة، د. نعمان بوقرة: ١٦٦.

(٣) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٢٨-٢٩، المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكيو، ترجمة: سعيد علوش: ٨٠.

(٤) ينظر: المعطى التداولي لنظرية العلامة في السيميائيات الامريكية، أ. هوار بلقندوز، المركز الجامعي - سعيدة، ضمن أعمال الملتقى الدولي الخامس (السيمياء والنص الادبي) الجزائر: ٣٧٠.

(٥) التداولية من أوستن الى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة: ٤٣-٤٥.

(٦) التداولية عند العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي: ٥.

(٧) التداولية من أوستن الى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة: ٤٣.

(٨) الديالكتيك: منطق جديد يستكمل ويواجه منطق أرسطو القديم، يقوم على الحركة بدلا من الثبات وترجع بدايته إلى هيرقليطس الفيلسوف اليوناني، ويقوم على قوانين التداخل والحركة والتحويل، كان في البداية تعبير عن الحوار الذي يقوم بين المتنازعين حول رأي من الآراء، كما كان بعض الفلاسفة القدامى يستخدمونه للتعبير عن المراحل المتدرجة للمعرفة، فإذا كان منطق أرسطو القديم يقوم على دراسة أشكال الفكر، وقواعد استخلاص النتائج من المقدمات، فان الديالكتيك هو دراسة محتوى الفكر نفسه لا شكله، وهو دراسة القوانين الأساس للتغيير والحركة والتداخل في الطبيعة والمجتمع على السواء، الا أن الديالكتيك بدأ بهيجل، فالمنطق الديالكتيكي الهيجلي هو أول منهج فلسفي لدراسة الظواهر الطبيعية والإنسانية دراسة ديناميكية متطورة، وقد تسلح كل من ماركس وفردريك انجلز به، ولكنهما أقاماه على أساس مادي وهكذا نشأت المادية الجدلية، التي هي علم القوانين العامة الأساس للتطور في الطبيعة والمجتمع والفكر، (ينظر: موسوعة الهلال الاشتراكية، ابراهيم عامر، احمد عبد الرحيم مصطفى وآخرون: ٢٢٢-٢٢٤).

(٩) ينظر: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صابر الحباشة: ٤٧، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والاقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، د. محمد عكاشة: ٤٨.

(١٠) ينظر: تاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون، جيل جوتيية، ترجمة: محمد صالح ناجي: ٩.

(١١) التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صابر الحباشة: ٧.

(١٢) المصدر نفسه: ٧.

(١٣) البلاغة والاتصال، جميل عبد المجيد: ٧، ينظر: أسئلة الدلالة وتداوليات الخطاب مقاربات عرفانية تداولية، صابر الحباشة: ١٣٠، ينظر: أهم نظريات الحجاج في التقليد الغربية، حسن المودن، مجلة علامات ج٤٢، مج١١، شوال ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ٢٣.

(١٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٤٤٤، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، د. عزالدين الناجح: ٣٩-٤٠.

(١٥) نهج البلاغة: ١٥٢/٢، ك: ١٧.

(١٦) ينظر: فاعلية الاقناع عند الامام علي، د. محمد قاسم لعيبي: ٣٧٢ (بحث سابق).

(١٧) نهج البلاغة: ١٧٥/٢ ك: ٢٨.

(١٨) المصدر نفسه: ٢٣٣/٢، و: ٤٧.

(١٩) ينظر: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته (مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة)، عبد الله صولة، بحث منشور ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم، منشورات جامعة الاداب والفنون والعلوم الانسانية، كلية الآداب – منوبة، اشراف حمادي حمود: تونس: ٣٤٢.

(٢٠) نهج البلاغة: ١٧٢/٢، ك: ٢٨.

(٢١) ينظر: شرح نهج البلاغة، البحراني: ٤٣٢/٤.

(٢٢) ينظر: جمهرة الأمثال، العسكري: ١٩١/١.

(٢٣) ينظر: صبح الأعشى، القلقشندي: ٢٧٥/١.

(٢٤) تاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون، جيل جوتييه، ترجمة: محمد صالح نادي: ٥٣.

(٢٥) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة، أوستين، ترجمة: عبد القادر قينيني: ٥.

(٢٦) ينظر: التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي: ١٠.

(٢٧) التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي: ١٠.

(٢٨) ينظر: المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، د. عبد الحليم بن عيسى، مجلة دراسات أدبية مركز البصيرة للبحوث والاستشارات التعليمية، الجزائر، ع١، ٢٠٠٨: ١٢.

(٢٩) التداولية النشأة والتطور، سحالية عبد الحكيم، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر، ع٥، ٢٠٠٩: ٩٨.

(٣٠) ينظر: المصدر نفسه: ٩٨- ٩٩.

(٣١) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة، أوستين، ترجمة: عبد القادر قينيني: ١١٦.

(٣٢) ينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان، فيليب بلانشية، ترجمة: صابر الحباشة: ٦٦.

(٣٣) التداولية النشأة والتطور، سحالية عبد الحكيم (بحث سابق): ١٠٣.

(٣٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ٧٦- ٧٧، دائرة الأعمال اللغوية مراجعات ومقترحات، شكري المبخوت: ٣٢.

(٣٥) نهج البلاغة: ٢/ ٢٧٣، ك: ٨.

(٣٦) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الخوئي: ٢٠/ ٣٣٩.

(٣٧) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. مسعود أحمد نخلة: ٤٥.

(٣٨) ينظر: التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي: ٤٢.

(٣٩) ينظر: التداولية النشأة والتطور، سحالية عبد الحكيم (بحث سابق). ١٠٣-١٠٤.

(٤٠) نهج البلاغة: ٢/ ١٦٩، ك: ٢٧.

(٤١) ينظر: مقدمة في علم الدلالة والتخاطب، د. محمد محمد يونس: ٣٥.

(٤٢) ينظر: التداولية النشأة المفهوم، سحالية عبد الحكيم (بحث سابق): ٤٣- ٤٤.

(٤٣) نهج البلاغة: ٢/ ١٣١/ ك: ٣.

قائمة المصادر والمراجع

١- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

٢- أسئلة الدلالة وتداوليات الخطاب مقاربات عرفانية تداولية، صابر الحباشة، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠م.

٣- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نخلة، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٢م.

٤- أهم نظريات الحجاج في التقليد الغربية، حسن المودن، مجلة علامات ج٤٢، مج١١، شوال ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٥- تاريخ نظريات الحِجاج، فيليب بروتون، جيل جوتييه، ترجمة: د. محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي جامعة الملك عبد العزيز ط١، ٢٠١١م.

٦- تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والاقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.

٧- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، أن روبول، جان موشلار، المنظمة العربية للترجمة، ترجمة: سيف الدين دغفوس، د. محمد

الشـيباني،، دار الطليعـة للطبـاعـة والنشر، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٣م.
٨- التداولية عند العلماء العرب دراسـة تداوليـة لظاهرة الأفعال الكلاميـة د. مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
٩- التـداوليـة من أوسـتن إلى غوفمان، فيليـب بلانشـيـه، ترجمـة: صـابر الحباشـة، دار الحوار للنشـر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٧م.
١٠- التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صـابر الحباشـة، الإصـدار الأول، صـفحات للدراسـة والنشـر، سـوريا، دمشق، ٢٠٠٥م.
١١- جمهرة الأمثال، أبو هلال العسـكري، ت: محمد أبو الفضـل ابراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الجيل،، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٢- شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني (كمال الدين ميثم بن علي ت٦٧٩هـ)، منشـورات مكتبة الإسـلام، قم، ايران، ط١، ١٣٦٢هـ.
١٣- صـبح الأعشـى، الشـيخ أبو العباس أحمـد القلقشـنـدي، مطبعـة الأمين، القاهرة، ١٩١٩م.
١٤- المدارس اللسانية المعاصرة، د. نعمان بوقرة، مكتبـة الآداب، الجزائر، د ط، ٢٠٠٣م.
١٥- المعطى التداولي لنظرية العلامة في السـيميـائيـات الامريكيـة، أ. هوار بلقندوز، المركز الجامعي – سـعيدة، ضـمن أعمال الملتقى الدولي الخامس (السيمياء والنص الادبي) الجزائر.
١٦- المقـاربـة التـداوليـة، فرانسـواز أرمينكيو، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، د ط، د ت.
١٧- مقدمة في علم الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الوطنية، بنغازي – ليبيا، ط١، ٢٠٠٤م.
١٨- منهاج البراعة في شـرح نهج البلاغة، الخوئي (حبيب الله الهاشـمي ت١٣٢٤ه) منشـورات دار الهـجرة، المطبعـة الإسلامية، طهران _ايران، ط٤، د. ت
١٩- نظرية أفعال الكلام العامة، أوسـتين، ترجمـة: عبـد القـادر قينيني، أفريقيـا الشرق، ١٩٩١م.
٢٠- نهج البلاغة، وهو ما جمعه الشـريف الرضـي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تحقيق وشـرح: محمد أبو الفضـل ابراهيم، دار الجبل، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.